ان رجلا من الصحابة رضي الله تعالى في صلوته باسم الله وباسم الرحمن فقال رجل من المشركين
اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا الرجل يدعو ربين اثنين
فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وادعوا الرحمن رغما
لانوف المشركين فان تعدد الاسم لا يستلزم تعدد المسمى قوله وذرهم والحادهم فيما
عطف عليه ايضا والفرق بينهما انه ليس في هذا التاويل تقدير المضاف بناء على ان ترك الموصوف
من حيث انه موصوف عبارة عن تركه وتوصيفه كانوا يلحدون في اسمائه تعالى عن الحق
باطلاقها على الاصنام بان يزيدوا فيها وينقصوا منها كاشتقاقهم اللات من لفظ الله
والعزى من العزيز ومناة من المنان فانه نوع من الالحاد فيها نهى الله تعالى عنه ويحتمل
ان يكون المراد بتركهم الاعراض عنهم وعدم المباشرة لمجازاتهم بقرينة قوله سيجزون بما كانوا
يعملون اي سيجزون في الاخرة جزاء عملهم قوله سنستدرجهم الاستدراج استفعال من الدرج
وهو التقرب اي سنقربهم الى الهلاك على الهلاك بكتمان وخفية وقيل الاستدراج اتباع النعم
البر وانساء الشكر قال عليه السلام اذا رايت الله تعالى انعم على عبد وهو مقيم على معصيته
فاعلم انه مستدرج ثم تلى هذه الاية والاستصعاد هو التنقل من سفل الى علو والاستنزال
هو التنقل من علو الى سفل درجة درجة والاملاء اطالة مدة احد بابقائه على ما هو
عليه وعدم الاستعجال في مواخذته والكيد المواخذة ثم انه تعالى لما بين ان كيده متين
في حق المكذبين لاياته حثهم على التفكر في امر رسوله صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه
انما بعث لينذر العصاة لمخالفة الله تعالى وتكذيب اياته ويامر الثقلين بان يعبدوا
الها منزها عن الشركاء والانداد ثم حثهم على النظر المؤدي الى معرفة الله تعالى وكمال
قدرته وسعة ملكه ليظهر لهم انه يجب ابتغاء مرضاته وان يحترز عن مخالفته وعصيانه
والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة يقال له ملكوت العراق اي الملك الاعظم
المتعلق به كانه قيل اولم ينظروا في السموات والارض وغيرهما ليعلموا الله على عظم ملكه وكمال
وقدرته فيعلموا انه لم يخلقها عبثا ولا يترك عباده سدى قوله فخذا فخذا اي قوما قوما
وقبيلة قبيلة وكان عليه السلام يحذر كثيرا اما قريشا عقوبة ووقايعه النازلة في الامم السابقة

السابقة فقام ليلا على الصفا وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان الى الصباح
فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت الاية والجنة
نباء من الجنون كالجلسة والقتلة ودخول من في قوله من جنة يدل على انه ليس
به نوع من انواع الجنون قوله وان مصدرية او مخففة الظاهر انها المخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان واسم يكون ايضا ضمير الشان وعسى وما في
حيزها في محل الرفع على انه خبر لان المخففة والمعنى ولعل ان الشان قد اقترب اجلهم
وقد ومن يتوقع اقتراب اجله كيف يصح له ان يسارع الى طلب النجاة وتخليص نفسه
من العذاب المعد للعصاة قبل مفاجأة الموت ونزوله بغتة يقال غافصت الرجل
اذا اخذته على غرة وجعلها مصدرية يخالف لما نص عليه النحاة من ان المصدرية
لا توصل بالفعل الذي لا ينصرف وعسى لا ينصرف فلا يتم جعلها لان المصدرية وكون اسم
يكون ضمير الشان يستلزم ان يكون تقدير الشان في الاية لانه يكون التقدير حينئذ
اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وفيه نوع بعد والاولى
ان يجعل قوله يكون وان اقترب متنازعان في فاعلية اجلهم ويعمل الثاني على راي البصريين
ويضمر العامل الاول ويمكن ان يقال رجح التكرار المذكور على التزام الاضمار قبل الذكر
فانه لا يصار اليه الا عند الضرورة والباء في قوله فبأي حديث بعده يؤمنون وهي جملة استفهامية
سيقت للتعجب من تصميمهم على الكفر بعد الزام الحجة عليهم فان ملك الله تعالى وسلطانه في
السموات والارض وفي كل ما يسمى شيئا حجة واضحة دالة على الوهيته ووجوب الايمان
وقبول جميع ما جاء من عنده فلما ارشدهم الله تعالى الى النظر في تلك الحجة والزمها عليهم
تعجب من سوء حالهم من تصميمهم وكونهم مطبوعين على قلوبهم ومشاعرهم حيث لا يؤمنوا
بهذا القرآن البالغ في حسن النظم والبيان الى اقصى ما يتصور فعلى هذا لا يكون قوله
فباي حديث بعده يؤمنون متعلقا بتوبيخ قريش على ترك النظر فيما يدل على صدقه عليه السلام
وصحة ما يوعدهم اليه من توحيد صانع العالم وعظم شانه وكمال قدرته ليطمئن قلوبهم
على التصديق بنبوته فان النظر في امر النبوة متفرع على النظر في دلايل التوحيد ونبوته

Copyright © King Saud University